

مظاهر الخطورة الإجرامية لدى الأحداث الجانحين

دراسة سوسيونفسية، بيولوجية، لسلوكهم وسماتهم وتفاعلهم

Manifestations of criminal danger among juvenile delinquents

A sociological, biological study of their behavior, traits, and interactions

د. سخاوي خديجة

جامعة لونيبي علي /البليدة2

ahmedkhadidja575@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/11/13 تاريخ القبول: 2023/04/23 تاريخ النشر: 2023/05/12

Abstract:

This article aims to shed light on the criminal danger of juvenile delinquents through a socio-biological analysis of their behavior and traits, using the technique of observation, and the interpretation of this phenomenon according to the theories that explain it.

The study concluded that the possibility of criminal risk related to the psychological state latent within the respondents, which was translated by tattoos and crosses on their limbs, as well as the internal and external factors related to their personal condition, which strengthen their determination to commit some criminal behaviors in the future.

Keywords: criminal risk, juvenile delinquency, behavior, traits.

المخلص:

يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على الخطورة الإجرامية لدى الأحداث الجانحين من خلال التحليل السوسيونفسي بيولوجي لسلوكهم وتفاعلهم وسماتهم، بتقنية الملاحظة، وتفسير هذه الظاهرة وفق النظريات المفسرة لها.

خلصت الدراسة إلى احتمالية الخطورة الإجرامية المتعلقة بالحالة النفسية الكامنة بداخل المبحوثين والتي ترجمت بأوشام وبتقاطيع في أطرافهم، وكذا بالعوامل الداخلية والخارجية المرتبطة بحالتهم الشخصية والتي تقوي عزمهم على ارتكاب بعض السلوكيات المجرمة مستقبلا.

الكلمات المفتاحية: الخطورة الإجرامية، جنوح الأحداث، السلوك، السمات.

* المؤلف المرسل

1- مقدمة

لاشك أن ظاهرة جنوح الأحداث من أهم الظواهر التي تواجه المجتمعات المعاصرة والتي تكتسي أبعاد مختلفة، ما جعل الاهتمام لدى التشريعات القانونية الخاصة بجنوح الأحداث يجب أن لا يقتصر على دراسة الفعل الجانح لا بد من دراسة الخطورة الإجرامية لديهم، وبهدف معرفة الأسباب والدوافع التي تدفع بالأحداث الجانحين بارتكابهم لجرائم أو جنوح مستقبلاً أو للمرة الثانية، كما يهدف إلى ضرورة اعتماد المعالجة، والحد من خطر الإجرام الفعلي. وكما نعلم أن حالة الخطورة الإجرامية تتكون من تفاعل عدة عوامل، إلا أن شخصية الجانح هي المحور الأساسي التي تعتمد عليها الدراسات الجنائية لتحديد توافر هذه الحالة. وقد بينت الدراسات أن تشكل شخصية الفرد تتأثر إلى حد بعيد بنوع الثقافة التي ينشأ فيها ومما لا شك فيه أن التحولات الاجتماعية والتغيرات الثقافية الحديثة واكبتها بما يسمى الصراع الثقافي الذي يظهر حينما ترى الأغلبية أن القواعد القانون أو بعضها لم تعد تناسب الحياة الاجتماعية وتطورها والتي صاحبها تطور في النظرة إلى القيم والأخلاق وتأتي هذه الدراسة لتفحص طبيعة وأبعاد الخطورة الإجرامية للأحداث الجانحين، مستنديين على فكرة الاحتمال كميّار لتحديد الخطورة الإجرامية ويتحدد معنى الاحتمال أن هناك عوامل قد تكون داخلية تتعلق بالفرد نفسه سواء في تكوينه البدني أو العقلي أو النفسي وقد تكون خارجية تتعلق بالبيئة الاجتماعية التي ينشأ ويعيش فيها الحدث الجانح، وتدفعه هذه العوامل إلى الجريمة تالية، ومن الممكن تحديدها من خلال بحثنا من خلال التحليل سوسيونفسي بيولوجي لسلوك وسمات الأحداث الجانحين بمراكز إعادة التربية بتقنية الملاحظة. واعتماداً على ما سبق تطرقنا في هذا البحث إلى ثلاث عناصر أساسية:

- ماهية الخطورة الإجرامية لدى الأحداث الجانحين وخصائصها؛
- عرض بعض النظريات المفسرة للخطورة الإجرامية لجريمة تالية؛
- مؤشرات الخطورة الإجرامية لدى الأحداث من التحليل سوسيونفسي بيولوجي لسلوكهم وسماتهم بتقنية الملاحظة

2- ماهية الخطورة الإجرامية لدى الأحداث الجانحين وخصائصها:

1-2- التعريف بالخطورة الإجرامية:

الخطر وصف يلحق الجريمة ويمثل الركن المادي لها، بينما الخطورة الإجرامية هي وصف يلحق الفاعل ولا تتوقف على توافر الجريمة، كما أن الخطر يعتبر فكرة قانونية في الجريمة وعنصرها فيها، بينما الخطورة الإجرامية فكرة لا يقتضي توفرها وقوع الجريمة و إن كانت تعد مفترضا ضروريا لتحديد العقوبة أو التدبير المناسب (أحمد فتحي، 1964، ص511).

عرفت الخطورة الإجرامية "بأنها استعداد لدى شخص يتصف بصفات نفسية معينة وجد في ظروف معينة تدفعه لأن يرتكب جريمة في المستقبل، فهي عبارة عن مؤشرات مستقبلية قائمة على احتمال وقوع أما خطورة الفعل أو خطورة الفاعل. وتعرف بأنها حالة الشخص النفسي، وصفاته وظروفه الاعتيادية ن في أن يصبح مرتكباً للجريمة، ومن الجانب القانوني تتمثل في الحالة غير القانونية التي تتكون لدى الشخص، ويترتب عليها الجزاء الجنائي" (أحمد كميل، 2021، ص64).

وقد تبنى "رفائيل جاروفالو" "Raffaele Garofalo" أحد أقطاب المدرسة الوضعية في تعريفه للخطورة الإجرامية، وافترض وجود تناظر بين الأهلية الجنائية والتوافق الاجتماعي، وأبرز أن البحث في هذين العنصرين يساعد على تحديد أبعاد الخطورة الإجرامية لدى الشخص الجانح (Bouwat et Pinatel, 1975, p533)، أي احتمال ارتكاب جريمة تالية، وهذا التعريف

يحدد الخطورة الإجرامية بالنسبة لشخص سبق له ارتكاب جريمة أو جنحة، أما الفقهاء الذين ينظرون إلى فكرة الخطورة الإجرامية بأنها احتمال ارتكاب جريمة في المستقبل دون شرط توفر جريمة سابقة فيعرفها رمسيس بهنام، "حالة نفسية يحتمل من جانب صاحبها أن يكون مصدرا لجريمة مستقبلية"(رمسيس، 1996، ص54). وقد قرر المؤتمر الثاني لعلم الإجرام المنعقد في باريس عام 1950، "أن الخطورة الإجرامية حالة نفسية"، وعرفت فوزية عبد الستار بأنها "احتمال عودة المجرم إلى ارتكاب جريمة لاحقة" ويعرف أصحاب الاتجاه النفسي الخطورة الإجرامية "بأنها حالة نفسية شاذة تؤثر في سلوك الشخص فتدفعه إلى الإجرام"(Collin, p15).

واتبع الفقيه دي أسوا "De Asua" نفس النهج الذي سار عليه جاروفالو، إذ عرف دي أسوا الخطورة الإجرامية بأنها الاحتمال الأكثر وضوحا في أن يصبح الشخص مرتكبا للجرائم أو أن يعود إلى ارتكاب جرائم جديدة. وأضاف لهذا التعريف أن الخطورة الإجرامية - بمعنى الكلمة - تنطوي على احتمال أن يرتكب الشخص أعمالا غير اجتماعية، إلا أنه وعند الكلام عن القانون الوضعي، يجب تقييد هذه الفكرة باحتمال ارتكاب الجريمة(مأمون، د تخ، ص112).

إن الاحتمال الذي تقوم به الخطورة الإجرامية على توقع إقدام المجرم على ارتكاب جريمة تالية، حيث يهدف التدبير الاحترازي الذي يطبق عليه إلى تفاديها حماية للمجتمع مخاطر الإجرام، ويتضح من كل هذا أن الخطورة الإجرامية ليست مجردة، بل أنها تؤدي وظيفة هامة في النظام القانوني للمجتمع وهي وقاية المجتمع عن طريق نظام التدابير الاحترازية من أخطار السلوك الإجرامي (القهوجي، 1998، ص443).

كما عرفت الخطورة الإجرامية بأنها حالة كامنة في الشخص مركبة العناصر وهي متطورة ومتغيرة، أي غير مستقرة في نوعها ومقدارها نتيجة لبعض العوامل والظروف المختلفة التي تدفعه لارتكاب جريمة تالية (المجالي، 2012، ص497). وقيل هي حالة شخصية مرتبطة بمجموعة من العوامل التي تؤدي إلى ارتكاب الجريمة في المستقبل (نجم، 2002، ص91).

كما يقصد بها أيضا حالة نفسية وجدت نتيجة لتفاعل مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية المحتملة والتي تؤدي إلى ارتكاب الشخص جريمة في المستقبل، فقد تباينت مفهومها بين علماء الغرب والعرب إلى ثلاثة اتجاهات(بن يوسف، 2018، ص674) وهي:

- اعتبارها حالة نفسية كامنة في الشخص
- اعتبارها صفة و ميول لدى الشخص
- اعتبارها نتيجة لعوامل داخلية و خارجية

وما يجب التأكيد عليه في هذا الصدد كلما كانت العوامل قريبة من الداخل أكثر من الخارج حصلنا على خطورة شديدة، وبالعكس كلما كانت العوامل تميل إلى الخارج من الوسط الخارجي وغير متعلقة بنفسية الجاني كانت الخطورة هنا اقل حدث كما يمكن القول أن مسألة جسامة الخطورة الإجرامية هي مسألة موضوع تتعلق بالحالة المتوفرة ولا يمكن أن تحدد بمعيار والاعتماد عليه بغض النظر عن المعايير الأخرى، فهي يمكن أن تستشف من خلال الضرر الذي سببه الجاني أو عن طريق الخلل النفسي المصاب به الجاني أو حتى عن طريق العوامل المؤدية لنشوء الخطورة الإجرامية.

2-2- خصائص الخطورة الإجرامية لدى الأحداث الجانحين

2-2-1- الخطورة الإجرامية هي حالة شخصية:

تتعلق بالحدث الجانح الذي يتوافر عليها ولا تتعلق بالوقعة الإجرامية. وأهم ما يميز الخطورة الإجرامية باعتبارها حالة خاصة بالفرد، هو أنها غير إرادية، وذلك يرجع إلى أن العوامل المؤدية

لها منقطعة الصلة تماما بإرادة الفرد، مثل الظروف البيئية غير المناسبة التي تحيط بهذا الفرد، فالقانون يعتد دائما بحالة الخطورة في ذاتها بغض النظر عن الأسباب التي أدت إليها، حتى ولو كانت هذه الأسباب تعتمد أساسا في نشأتها على سلوك الفرد ذاته كالإدمان على المسكرات أو الإدمان على تعاطي المخدرات.

2-2-2- الخطورة الإجرامية حالة نفسية:

الخطورة الإجرامية حالة نفسية ناتجة عن تفاعل عدة عوامل شخصية و موضوعية تؤدي بصاحبها إلى نوع من الشذوذ النفسي قائمة في العقد النفسية المكبوتة في اللاشعور والتي توجه سلوك الإنسان وجهة إجرامية من دون وعي أو إدراك منه وكشف هذه العقد ومواجهة الإنسان المريض بها مع طرق علاجية نفسية أخرى هي التي يراها علماء التحليل النفسي وسائل كفيله في شفاء المريض ورجوعه عن سلوكه الإجرامي سليما إلى الهيئة الاجتماعية.

2-2-3- الخطورة الإجرامية تنطوي على النظام القانوني:

القائم في المجتمع لأنها تتعلق بارتكاب أفعال مخالفة للقواعد القانونية السائدة في المجتمع، مما يضيف عليها طابع النسبية، لأنها تتضمن قيام الفرد بأفعال يجرمها القانون ومن هنا هي تتوقف على الحالة الاجتماعية وما يسودها من أفكار بين أفرادها، ولكن نسبية الخطورة الإجرامية لا تتوقف عند الحالة الاجتماعية السائدة في المجتمع بل تتعداها لتشمل حتى العلاقات بين الأشخاص وكذلك الأشخاص الذين تتوافر لديهم الأمارات التي تدل على خطورتهم الإجرامية

2-2-5- الخطورة الإجرامية تتجسد في إشارات مادية:

تتجسد الخطورة الإجرامية في الإشارات المادية والدلائل التي تتمثل في أفعال أو وقائع ملموسة يمكن ملاحظتها وتتبع عن وجود هذه الخطورة، ولي ذلك، فإنه لا يكفي للقول بتوافر الخطورة الاستناد إلى مجرد افتراضات من غير أن يكون هناك وقائع مادية تكون بمثابة إشارات واضحة تدل على هذه الخطورة، ويكون من شأن ما ظهر من دلائل مادية إيجاد احتمال جدي في أن جريمة ما قد تقع في المستقبل من قبل الشخص الذي أحاطت به مثل هذه الدلائل(عادر، 1986، ص193).

2-2-6- الخطورة الإجرامية مجرد احتمال:

الاحتمال ذو طابع علمي، فهو لا يقوم على محض الظن أو التصور، وهو بذلك ليس مجرد تحكم من القاضي بأن الشخص سوف يقدم على ارتكاب جريمة مستقبلا وإنما يفترض دراسة للعوامل الإجرامية وتحديدها وبيان مدى قوتها السببية التي تجعل من شأن هذه العوامل توجيه الفرد إلى ارتكاب الجريمة مستقبلا(احمد كميل، 2021، ص535).

2-2-7- الخطورة الإجرامية حالة حاضرة:

إن الخطورة الإجرامية لدى الحدث حاضرة ثابتة و ليست مستقبلا محتملا وإنما الاحتمال له علاقة بالأفعال الإجرامية مستقبلا، وهذا يعني الأهلية الجنائية متوفرة لدى الحدث. وقد ثار الخلاف حول ما إذا كانت فكرة الخطورة الإجرامية تقتضي تحديد الوقت الزمني الذي يجب أن يمضي بين اللحظة التي تتوافر فيها الخطورة ولحظة ارتكاب الفعل المحتمل وقوعه(محمد عبد الرسول، 2016، ص153)، وإنما يكفي أن تكون الدلائل المتوفرة تشير إلى أن أعراض الخطورة قد تكونت لدى الحدث وأصبحت لديه الأهلية الجنائية التي تمكنه من الإقدام على ارتكاب الجريمة من دون الحاجة إلى معرفة تاريخ وقوع الجريمة منه.

3- عرض بعض النظريات المفسرة للخطورة الإجرامية لدى الأحداث الجانحين

اختلف الباحثون في تفسيرهم للجريمة وللخطورة الإجرامية، ويعود هذا إلى الاختلاف حسب طبيعة التصور واتجاه الدارسين والمهتمين من الباحثين.

3-1- نظرية الخطورة الإجرامية:

ركزت المدرسة الوضعية الإبطالية اهتمامها حول الدراسة العلمية لشخصية المجرم والبحث عن الدوافع التي أدت به إلى سلوك سبيل الجريمة ووضعت الآليات التي تعالج هذه العوامل فابتكرت فكرة التدابير الاحترازية كجزاء جنائي أساسه الخطورة الإجرامية (نجم، 2002، ص83) وهذه التدابير عديدة ومتنوعة، فبعضها يتجه إلى إصلاح ما أفسدته الجريمة وبعضها تدبير علاجية وأخرى تدابير اجتماعية. وإذا كانت فكرة الخطورة الإجرامية قد نشأت في أحضان المدرسة الوضعية، والتي أعلن أحد أقطابها القاضي "جاروفالو" عام 1878 في المقال الذي نشره في مجلة الفلسفة والآداب التي كانت تصدر في نابولي بعنوان "دراسات حديثة في العقاب"، والذي يرى أن أساس العقاب ومعياره يكمن في هذه الخطورة، وهي تعبر عما يبدو على المجرم من فساد دائم وفعال وتحدد حجم الضرر الذي يتوقع صدوره عنه، و يربطها بأهليته الجنائية ومدى قدرته على التجاوب مع المجتمع (يسر أنور، 1971، ص197).

لم يكن الفكر التقليدي بمعزل تام عن فكرة الخطورة الإجرامية، إذ أنه عرف الخطر الناجم عن الجريمة كمعيار عن مدى جسامته ولم يسنده إلى فاعلها، و كذلك جاءت أفكار الاتحاد الدولي للقانون الجنائي لتؤكد أهمية الخطورة الإجرامية كأساس للجزاء الجنائي وذلك بتطبيق التدابير الاحترازية الفعالة لحماية المجتمع من خطورة المجرم. أما حركة الدفاع الاجتماعي فقد اعتدت بالدراسة العلمية والفحص الدقيق لشخصية المجرم لمواجهة الخطورة الإجرامية الكامنة فيه، لاختيار ما يلاءم الجاني من عقوبة أو تدبير احترازي ومن أهم روادها المستشار الفرنسي مارك أنسل الذي يرى أن تأهيل المجرم حق له وواجب عليه حتى يستعيد مكانته الشريفة فسوف يصبح فردا نافعا في المجتمع، كما أنه جعل حالة الخطورة الإجرامية أساسا لتحديد مسؤولية المجرم ومعيارا. لتحديد مضمون الجزاء الجنائي إلى جانب المسؤولية الأخلاقية (محمودي، 2010، ص95).

وعليه يمكن القول أن الخطورة الإجرامية ما دامت مرتبطة بالحالة النفسية للمجرم، وتوازن شخصيته واضطرابها وطباعه تكشف عن مدى خطورته وكذا احتمال جرائم مستقبلا وهذا ما اتجهت إليه المدرسة الوضعية وحركة الدفاع الاجتماعي في اعتماد الدراسة العلمية لشخصية الجاني وتحليلها من جميع جوانبها حتى تتمكن من تحديد الجزاء المناسب ونوعه على حسب درجة الخطورة الإجرامية و تطورها والأخذ بها كأساس للمسؤولية الجنائية للمجرم إلى جانب المسؤولية الأخلاقية.

3-2- نظرية التحليل النفسي:

تؤكد نظرية التحليل النفسي وجود ديناميات معينة في شخصية الفرد تمارس تأثيرها في سلوكياته المختلفة. إذ أن النمو النفسي يمر بمراحل خمس كنمو الجنس -نفس وهي: المرحلة الفمية والمرحلة الشرجية والمرحلة القضيبية والمرحلة الكامنة والمرحلة الجنسية وأن أي خلل في هذه المراحل يؤدي إلى اضطراب الشخصية، وأن العناصر الأساسية لنظرية التحليل النفسي هي: المقاومة أو الكبت واللاشعور وأهمية الحياة الجنسية وخبرات الطفولة في تفسير السلوك الإنساني (فرويد، 1967، ص47). وتتكون الشخصية وفقا لهذه النظرية من ثلاث نظم أساسية هي ألهو (Id) (والأنا (Ego) والأنا الأعلى (Super Ego). وكل نظام من هذه النظم الثلاثة له وظيفة و

خصائص ومكونات و مكوناته و مبادئه التي يعمل وفقا لها وله أيضا دينامياته وميكانيزماته الخاصة وأن السلوك في الغالب هو محصلة تفاعل هذه النظم مع بعضها. وعليه فالسلوك الإجرامي عند "فرويد" إنما يفسر على أساس الصراع القائم في النفس الشعورية، أما بسبب غلبة الذات الدنيا على الذات العليا وأما بسبب عقدة من العقد الكامنة في اللاشعور، فينجم من ذلك كله إطلاق الدوافع والنزعات والميول الكامنة منذ الطفولة بغير قيود ويحدث الاضطراب النفسي الذي يؤدي إلى خلل عصبي أو سلوك إجرامي عدة مرات.

3-3- النظرية السلوكية:

يعتقد أصحاب المدرسة السلوكية أن سلوك الفرد هو محور التكوين النفسي له، وبشكل عام يتألف من صنفين: يتكون الصنف الأول من قاعدة أساسية من السلوك الغريزي التي تتألف من مجموعة من الاستعدادات والأنماط السلوكية والحركية والأفعال الانعكاسية التي يرثها الطفل في تكوينه، فضلا عن العناصر البيولوجية الأخرى كالغدد الصماء وهرموناتها إذ أن لها علاقة واضحة في السلوك والعواطف والاستجابات عند الطفل. أما الصنف الثاني من السلوك الإنساني فهو مجموعة من الأشكال والأنماط السلوكية التي نمت وتكونت نتيجة لعمليات التعلم والتشجيع والتدعيم والقبول التي يلقاها هذا السلوك في البيئة الاجتماعية والعائلية، ذلك أن الإنسان لا يتعلم الأساليب الحركية واللفظية فقط، بل يتعلم الاتجاهات العاطفية التي تشكل سلوكه مع الآخرين أي سلوكه الاجتماعي (العظماوي، 1988، ص164).

ووفقا للنظرية السلوكية فالسلوك الاجتماعي يتعلمه الطفل نتيجة تعرضه لمعطيات ومؤثرات البيئة المحيطة به ومحصلة لأساليب التربية والتعليم والرعاية التي يتلقاها الفرد في إطار المعتقدات والاعتبارات الاجتماعية السائدة كيف ما كانت يكون سلوك الفرد مرآة لها.

3-4- النظرية الظاهرية – الإنسانية

تركز هذه النظرية على محاولة فهم الذات ووجهات نظرها الفريدة في الحياة كما تؤكد على خصوصية الفرد بين الكائنات الحية وتنظر إليه ككل متكامل، وأنه كائن منفرد، وأنه خير بالطبع، ولديه قدرة كامنة ومبدعة، وأنه رأيته عن العالم الخارجي هو الذي يحدد شخصيته ومعالمها الأساسية وان الطبيعة الإنسانية ثرية وغنية حيث تحركها الخبرة الخاصة بالفرد وأن السلوك الاجتماعي يجب أن يدرس بالتركيز على القيم والأفكار والرمز وأساليب التفكير التي يتبناها كل فرد من خلال خبراته الخاصة وان الإنسان مدفوع لفعل الخير وأنه ينطوي على دافع رئيس للنمو والارتقاء والإبداع وتحقيق الذات (اغروس، 1989، ص 88). وتشكل الحاجات و عملية إشباعها الجوهر للنظرية الإنسانية وان نوع البيئة التي يتعرض لها الفرد تؤثر تأثيرا كبيرا على عملية نمو شخصيته وتطورها لان موضوع وأهداف إشباع الحاجات يكون في البيئة (Ryckma, 1978, p320)، فالبيئة التي تشعر الفرد بالأمن وتسمح له بإشباع حاجاته الأساسية فأنها تكون مصدر إسناد للفرد وتدفعه للنمو باتجاه تحقيق الذات للوصول إلى أقصى طاقة ممكنة في التحرر والارتياح وتبادل الحب مع الآخرين وتكوين صداقات فعالة (Smith, 1965, P423).

3-5-الاتجاه الاجتماعي:

أما الاتجاه الاجتماعي لتفسير السلوك الجانح والجريمة أو العود للجريمة نتيجة الخطورة الإجرامية لدى الأحداث الجانحين وهو أكثر هذه التفسيرات شيوعا وأخصبها إنتاجا و أقربها منطق السببية وأكثرها استعابا لكافة الظروف والأسباب والعوامل التي يشيع تواجدها عند بحث أسباب الجريمة وعلة السلوك الإجرامي، فالالاتجاه الجغرافي يربط بين العوامل البيئية الاجتماعية والبيئة الطبيعية والجريمة، مثل درجات الحرارة والموارد الطبيعية والتضاريس والموقع من خطوط الطول

والعرض بالإضافة إلى الأبعاد الايكولوجية للأحياء السكنية التي تتميز بسمات اقتصادية وسكانية معينة، أما الاتجاه الاقتصادي فقد ربط بين البواعث الاقتصادية والأزمات الاقتصادية التي تعصف بالمجتمعات والسلوك الانحرافي، إضافة إلى الأدوار المهمة التي تفرزها الأوضاع الاقتصادية للجماعات الاجتماعية والدخل الشهري حيث ربطت العديد من الدراسات داخل هذا الاتجاه بين الفقر والبطالة والسلوك المنحرف، ومن أهم النظريات الحديثة التي وضعت في اعتبارها تلك الحقيقة نظرية " الأنومي-Anemie" ولقد مرت هذه النظرية بمرحلتين أساسيتين: المرحلة الأولى، ومن أبرز روادها "دوركاييم" حيث كان أول من استخدم مفهوم الأنومي للدلالة على السلوك الجانح الإجرامي، فلقد ذهب دوركايم إلى إن ظروفًا معينة ما تؤدي إلى وجود نمط من الطموح والآمال الكبيرة وزائد عن الحد، يؤدي الفشل في تحقيقه إلى انهيار القيم والمعايير داخل المجتمع. ويعد "روبرت ميرتون" من أبرز رواد المرحلة الثانية فقد لعب دورًا كبيرًا وهامًا في تطوير نظرية الأنومي، وجعلها أكثر تنظيمًا وتنسيقًا حيث حدد أنماط العلاقة بين أهداف المجتمع الاجتماعية، وبين الوسائل الثقافية المستخدمة لتحقيق هذه الأهداف، إلا إن بعض المنظرين مثل الفيلسوف الفرنسي "غبريال تارد -Gabriel Tarde" يرى الجريمة على أنها حقيقة اجتماعية، حيث تنشأ وتتكون وتتطور، وفق قوانين أساسية يخضع لها جميع أفراد المجتمع وهذا هو قانون التقليد إذا ينتقل السلوك الإجرامي من الأعلى إلى الأسفل، والحقيقة أن اتخاذ عنصر المحاكاة والتقليد كتفسير أساسي لانتقال السلوك الإجرامي يجعل من عملية المحاكاة هذه عملية ميكانيكية آلية، تعمل في كل زمان وفي كل مكان، وتطبق على جميع الأشخاص على السواء أما الأستاذ الأمريكي "أدوين سندرلاند- Edwin Sutherland" كان أكثر دقة في تحديد كيفية حدوث مثل هذا الانتقال بالنسبة للسلوك الإجرامي بوجه خاص لقد بنى "سندرلاند" نظريته الاجتماعية على فرضية جديدة سماها "الاختلاط التفاضلي -Differetid Ossociation"، أما كلوارد واوهلين Glword Ohlen وتعد نظريتهما عن بناء الفرصة محاولة للاستفادة من نظرية الأنومي التي تهتم بتحديد المصادر الاجتماعية للانحراف إلى الأفراد والجماعات من خلال عملية التعليم و تهتم نظرية كلوارد واوهلين – بصفة أساسية- بتفسير ظهور الثقافة الخاصة الجانحة(الوريكات، 2013، ص ص143-250).

4- مجالات الدراسة

- **المجال المكاني:** مركزي إعادة التربية للبنات، علي معاشي، ومركز إعادة التربية للذكور (الرحوية ولاية التيارات)، ومركز إعادة التربية للبنات بن عاشور بالبلدية.
- **المجال البشري:** ويتمثل المجال البشري في مجموع الأحداث ذكورا وإناثا المودعين بكل المراكز الثلاثة والمركبين للسلوك الجانح، وذلك من خلال تكرار الزيارات للمراكز.
- **المجال الزمني:** أجريت الدراسة 2021-2022.

5- المنهج المتبع و الأدوات المستخدمة

بناءً على العدد القليل والمحدود للأحداث الجانحين في مراكز إعادة التربية التي تم الاطلاع على البعض منها، ارتأينا إتباع واستخدام أسلوب المسح الشامل لكل مفردات البحث، كما اعتمدت الباحثة في دراستها على المنهج الوصفي كما استخدمت شبكة الملاحظة للأحداث الجانحين، المودعين بمراكز إعادة التربية التي شملتها الدراسة، حيث قامت، بمشاركة الأحداث في نشاطاتهم اليومية، وملاحظة سلوكياتهم وعلاقاتهم مع بعضهم البعض، ومع العاملين داخل هذه المراكز، من المشرفين الاجتماعيين والنفسانيين وكذا المربين الذين يلازمون الأحداث أينما وجدوا في المطعم، أو الورشات، أو قاعة الرياضة، أو...، كلما تسنى للباحثة ذلك طيلة فترة إجراء البحث الميداني. لقد حدد "Jean-claudcombessie" ثلاث مبادئ لنجاح الملاحظة والاستفادة منها(معتوق، 2009، صص190-191).

- التسجيل من أجل التحليل يرى بأن مصداقية العمل والدقة وتعدد التسجيلات تعد شرطاً أساسياً...ولهذا يرى أن دفتر العمل الميداني هو الطريقة الأكثر رواجاً من طرف الباحثين.
- التوقع والتنبؤ من خلال وضع خطة للملاحظة، ولتحضير وتنسيق الإجراءات الخاصة بالملاحظات المراد القيام بها حسب الأماكن والأوقات المحددة لذلك.
- الخطة والشبكة، يتم إنجازهما خارج حالات الملاحظة، وبعدها تتطور العملية و تتحدد وتتجه من العام إلى الخاص إن شبكة الملاحظة تتبع الفروض ولها وظيفة الكشف والفحص أي التحقق

6- عرض و تحليل شبكة الملاحظة للأحداث الجانحين

لقد ساعدت الباحثة، شبكة الملاحظة، التعرف على بعض أنماط سلوكيات الأحداث الجانحين (نكور_إناث) والتي لا يمكن فهمها حقيقياً إلا من خلال مشاهدتها كما تحدث في الواقع. أمكنت شبكة الملاحظة الباحثة تحديد بعض ملامح العلاقات الإنسانية التي تدور بين المربيين والأخصائيين الاجتماعيين والنفسانيين مع الأحداث الجانحين المتواجدين بالمركزي إعادة التربية، تحديد بعض سلبيات التي قد تشوب تلك العلاقات من بينها عدم الاهتمام بالرفع من مستوى معيشة الأشخاص القائمين على رعاية الأحداث، وخاصة المربيين، قد ينعكس في كثير من الأحيان على طريقة أدائهم تجاه الأحداث، وأحياناً يكون الأداء سلبياً وهو ما لاحظته الباحثة على بعض الأخصائيين والمشرفين من المربيين و العاملين.

كما استنتجت الباحثة من خلال الملاحظات، أحياناً توزع الأحداث الذكور داخل المراكز على شكل جماعات صغيرة، يكون لها في العادة شخص يتزعمها وهذا ما لاحظته الباحثة إما في ساحة المركز أثناء الاستراحة أو في المطعم أثناء تناول وجبة الغذاء بحيث يكون هذا الحدث من الأحداث الجانحين القدامى في المركز، فيبحثون هؤلاء الأحداث عن الرضا الوجداني والإشباع العاطفي والراحة النفسية لدى أشخاص أو أحداث آخرين في عصابة الأقران وبصير سلوكهم بالتعبية وخاصة إذا كان ضمن الأحداث من هم في خطر معنوي وليس جانحين، أي يتوقف تأثير المخالطة على نظرة الفرد لمن يخالطهم، أي حسب درجة الهيبة التي يحظى بها النموذج الذي يخالطه الفرد إجرامياً أو غير إجرامياً. وقد أشار إلى ذلك سذرلاند في نظرية المخالطة الفارقة، والتي لخصناها في هذه المعادلة:

$$\text{قوة النماذج المشجعة على الانحراف} = \frac{\text{النماذج المشجعة على التكيف}}{\text{الجريمة}}$$

حينما يختلط الشخص بنماذج من المجرمين فان عدوى الجريمة تنتقل إليه بالتعلم شيئاً فشيئاً لذا أطلق سذرلاند على نظريته اسم الاختلاط الفارق(. وعليه فإن هذه النظرية تنظر إلى الإنسان نظرة ايكولوجية أي بوصفه جزءاً لا يتجزأ، من البيئة فهو يتأثر بيها ويؤثر فيها تفاعله وهذا ما يؤدي إلى سلوكيات جديدة غير محمودة بعد خروجهم أي إلى جنوح أو ما يسمى بالخطورة الإجرامية. مع البيئة يعتمد على المخططات (السكيما) Schéma التي تكونها بني معرفية موروثية، وهي تعمل ادراكات توجيهية للاتصال مع البيئة تتأثر بخبرات الطفولة، فإذا كانت الخبرات ايجابية تكون نظرة (السكيما) للذات والعالم والمستقبل نظرة ايجابية مما يولد استعداداً لسلوك اجتماعي موجه لبناء الذات والعالم والمستقبل بناء ايجابياً.

كما استنتجت الباحثة وهي تلاحظ، تصريحات بعض المبحوثات لبعضهن عن علاقاتهن الغير شرعية وحملهن الغير الشرعي، وكأنه واقع اجتماعي لا مفر منه بالنسبة لبعض الجانحات، يشير إلى الانحلال الشخصي الذي ينشأ لدى الفرد الذي يسير سلوكه دون توجيه معين أو هدف معين و فشلهن في استيعاب المعايير و الأهداف بصورة متكافئة و ثم تتكيفن منحرفاً بحالات

من الانسحاب والعصيان كما أشار إليها مريتون. إن سلوكهم هذا كان نابعا من أسلوب حياة فتكونت لديهم مفهومات أساسية خاطئة عن العالم النقي وانغرست هذه الأفكار في ذاتهم

وعليه، فإن جوهر الخطورة الإجرامية يرجع إلى تغلب الدوافع التي تجعل لدى الجانحات ميلا إلى ارتكاب مثل هذي السلوكيات على الموانع التي تردهن عنهن، أو هي نقص في المانع وإفراط في الدافع، والذي يقوي الدافع ويضعف المانع، هو مجموعة العوامل النفسية والبيئية المحيطة بالفرد والتي من شأنها إبراز فكرة الخطورة الإجرامية لديهم في البغاء

والواقع أن صور التكيف المنحرف للشخصية تلك ترتبط بصورة مباشرة بعملية الوصم الاجتماعي أن الحدث الجانح لا يقوم على نوعية الفعل وماهيته بقدر ما يقوم على نتيجة ما يوصف بها الفاعل من قبل الآخرين، ورد فعل الآخرين تجاه هذا الانحراف. كما نستنتج أن المبحوثة وهي تصرح بحملها الغير الشرعي ليس بانحراف أولي الذي يأتيه الفرد مكرها وهو عالم بانحرافه ويشعر بالخوف والتردد، وإنما انحراف مستوى ثانوي حيث يتلاشى الخوف تدريجياً ويصبح الفرد مدركاً لنوعية الفعل الذي يقوم به، وردة فعل المجتمع تجاهه. كما ميز "لمبرت" "Lemert" وأشار السلوك المنحرف الذي يتم ارتكابه (الثانوي) نتيجة لمفهوم المرء لذاته ومن خلال نظرة الآخرين له والتي تتسم بعدم القبول الاجتماعي، والتي نتجت وتولدت عن تلك النظرة المجتمعية للفرد باعتباره منحرفاً وما ينتج عن معاملة لهذا الفرد من قبل أفراد المجتمع (جوهرى وآخرون، 1993، ص580)، أيضا بنمط الاغتراب الذاتي حيث أن الشخص عندما ينفصل عن ذاته الحقيقية سواء نتيجة لإستعاب الرأي العام لشخصيته وطمسها وحرمانه من عوامل الاستبطان والتفرد الذاتي يكون تكيفه منحرفاً، كما نشير إلى وضع البيئة الأسرية أو البيئة القاطنة بها، الجانحات تخلو من المعايير، بحيث يصبح الوضع نقيضا للمجتمع، كما تتناقض الفوضى مع النظام. وقد أشار إلى ذلك دوركايم في نظريته اللامعيارية ناتج عن خلل بالمعايير الاجتماعية التي تُسَيِّر المجتمع من خلال توجيه الفرد إلى أنماط معينة من السلوك عالية التقدير يصل الفرد من خلالها إلى المرتبة الاجتماعية المرموقة، فإذا ما اختلفت هذه المعايير وصل الفرد أو المجتمع إلى حالة اسماها دوركايم اللامعيارية أنومي "anomie"، ولقد نظر دوركايم إلى العلاقة بين الفرد والمجتمع على أنها هي المفسرة للسلوك الجانح أو الانحراف. بحيث أعطى دوركايم أساس جنوح الأحداث، وأسباب الإجرام بشكل عام إلى غياب التماسك الاجتماعي بين أفراد المجتمع الواحد الذي يقود بالضرورة إلى اضطراب وظائف المجتمع، وإلى حالة من الفوضى والانحلال الاجتماعي، تعيب فيه المقاييس والمعايير والقواعد الاجتماعية المسؤولة عن عملية الضبط الاجتماعي، وفي غالب الأحيان تؤدي هذه الحالة إلى اضطراب الرؤيا بعض الأفراد إلى اختلال يصيب إدراكهم السليم فيصبحون غير قادرين على التميز بين ما هو ممكن وغير ممكن، ما هو مشروع وغير مشروع، ما هو مقبول وغير مقبول اجتماعياً (تماضر زهري حسون، ص40) وهذا بالضبط ما لمسناه من خلال ملاحظة الحوار الذي دار بين اغلب الجانحات مع بعضهن البعض وهن يصرحن على مغامرتن مع أصدقائهن. ومن خلال هذه التصريحات نستنتج أن العناصر الأولية لثقافة الفرعية متوفرة والتي تتمثل في وجود استخدام لغوي مشترك من خلال الألفاظ، كذلك ارتفاع معدل القيم المنحرفة المشتركة بين المبحوثات. وباعتبارهن ذوي درجة عالية من الاتفاق على الألفاظ والمصطلحات والرموز المشتركة وقيامهن بأعمال غير مشروعة حسب حوارهن تصنف اللاتي من المبحوثات ذوي الدرجة العالية من الثقافة المنحرفة كما بينه وأشار إليه السيد علي شتا في كتابه علم الاجتماع الجنائي.

كذلك ومن خلال الملاحظة بعض الجانحات التي تم إيداعها من قبل الشرطة بمرکز إعادة التربية المتواجدون نحن به، وُجد بحوزتها أثناء عملية التفتيش الدقيق من قبل المربيات، كمية من

المخدرات مخبأة بطريقة احترافية، هذا يجعلنا نقول أن جنح أو جرائم الإناث لا تنحصر فقط في الجرائم الأخلاقية، وهنا بإمكاننا تنفيذ طرح " لومبروزو" بان التكوين البيولوجي للأنثى يجعلها هدفاً للذكر فتتخذ موقف الترقب والانتظار بعكس الذكر الذي يتخذ موقف السعي والتحرك نحوها،(البهلول، 2009) ومن خلال شبكة الملاحظة أن الفتاة الجانحة أو المرأة المجرمة، لم تعد في حالة ترقب وانتظار، بل أصبحت هي صاحبة السعي والتحرك والتنظيم، وبالتالي لم تعد الأنثى هدف الرجل بل هو كذلك هدف لها. وبذلك تذهب نظريات الضبط الاجتماعي إلى أن الأفعال الجانحة والأفعال المنحرفة تتولد عندما يكون ارتباط الحدث بالمجتمع ضعيفا أو متصدعا إذ أن أي شيء يضعف الرابطة والتواصل والاستغراق في المجتمع ينمي أو يدفع إلى الجريمة... فالأسرة والمدرسة هما المدخل للاتصال والترابط بالمجتمع ولذلك عندما لا يحققان وظيفتهما بصورة متكاملة فإن علاقة الأشخاص اليافعين تكون غير مرضية ومن ثم يترتب على ذلك ظهور الانحراف والجنح كرد فعل لهذه الحالة (السيد، 1993، ص55).

كذلك من خلال الملاحظة ، ظاهرة الوشم وهي ظاهرة قديمة عادت تحظى بقبول الكثير من الشباب من كلا الجنسين في مستقبل العمر بشكل لافت، وهذا ما لاحظته الباحثة عند الأحداث الجانحين، هي عبارة عن إماءات ورموز تعكس الهوية الفكرية وكذا شخصية الحدث. ويمكن أن يكون لذلك الوشم عند الأحداث الجانحين دوافع أخرى كما فسره عبد الحكيم خليل سيد احمد في دراسته "التجليات الرمزية للوشم في المعتقد الشعبي" (خليل سيد احمد، 2012، ص1).

- **دافع عدائي:** كالتعبير عن التمرد أو الغضب أو الاستفزاز المشاهد كما تفعل عصابات المراهقين.

- **دافع نرجسي:** قد يعبر عن هوية النرجسية كمحاولة تأكيد الذات وبحث الحقيقة في مغامرة الحياة على اعتبار إن الوشم قوة مجندة لضعف الجسد، وكعملية لإعادة اعتبار الفرد، كما تعبر عن الإعجاب بالجسد وتأكيد الأنا عبر نظرات الآخرين. وهذا ما يفسر الوشم عند المبحوثات في مناطق حساسة من الجسد قصد إثارة الجنسية.

ومن بين الرسومات التي لحظت على بعض الأحداث الجانحين..

بالنسبة للإناث:

- **العقرب:** والتي تقصد من ورائها قوة شخصيتها ويجعلها أكثر ثقة بنفسها.

- **الدمعة:** تعبير عن الحزن والأسى اللذان لم يفارقاها.

- **الزهور والفراشات:** الموجودة على الصدر تعبر عن الرغبة في الحنان أما الموجودة في أسفل الظهر تعبر عن الرغبة الجنسية

- **إشارة حادة لقطع شرايين اليد:** تعبر عن المفهوم السالب لذاتها، ولا تبالي بالحياة ورغبتها الشديدة في الانتحار

- **نقطة خضراء:** وهي منتشرة في بعض أجزاء جسمها وتعني أنا وحيدة.

أما بالنسبة للذكور:

- **نقاط ثلاث على استقامة واحدة:** وهي توجد عند الأحداث الذين ينتمون إلى عصابة الجريمة، وفي حالة وقوعهم بين يدي رجال الأمن شعارهم، "لا أسمع لا أرى لا أتكلم"، كما تعبر عن الانتماء والولاء للشركاء الجريمة، وهذا تصريح الأحداث أنفسهم.

- **ثلاث نقاط على شكل مثلث:** النقطة الموجهة في الأعلى تعني أنا وحيد، والنقطتين الموجودتين في الأسفل تعبر عن عدائهم للدولة والنظام اللذين لم يتكفلا بهم وكانا سببا في تواجدهم في هذه الوضعية.

كما أرجعت الباحثة أسباب لجوء الأحداث الجانحين للوشم وهذا من خلال تحليل الرسومات وما ترمي إليه، إلى انسحابهم من العلاقات الأسرية والاجتماعية والتمحور حول الذات، وعدم شعورهم بقيمة الحياة، ونظرتهم للمجتمع العدائية.

أما بالنسبة للأحداث الذين قاموا بإيذاء أنفسهم عن طريق الجروح أو كما يسمونها بتعبيرهم "التقاطيع" وخاصة على الأطراف، فهذا عندما يصلون إلى درجة عالية من العدوانية الناتجة عن إحباط و الخيبة والفشل فيوصله إلى حالة الذعر عندئذ يقدم على ممارسة السلوك العدواني، ويمكن أن تزداد العدوانية الموجهة نحو الذات حينما صعب توجيهها نحو الخارج. ووجود النزعة العدوانية يقول "ماندل" "Mendel" لا جدال في انه يوجد عند الإنسان قوة استثنائية من النزوات العدوانية التي يمكن إرجاعها لما سميناه الجرح النرجسي الأصلي الذي يتغذى فيما بعد من مجموع إحباط وقيود و تبعية الطفولة، يجب أن تعتبر العدوانية في الواقع كجواب الأنا على معاناته النرجسية"

أما الصورة العامة للجانح الذي يقوم بإذاء نفسه فهي أنه يكون ذا حساسية مفرطة تجاه رفض الآخرين له، وشعوره المزمن بالغضب تجاه نفسه وعجزه عن إيصال صوته بوسائل الحوار العادي، حينها ترسخ القناعة لديه بالفشل في إقناع الآخرين وخاصة الأهل بكيانه وقيمه يلجأ إلى أساليب سيئة للتكيف مع الأمور، مندفعاً، مكتئباً وقلقاً.

كما يمكن أن يكون العدوان نحو الذات هو التواصل مع الآخرين بطريقة غير مباشرة لإعلامهم بحاجته للمساعدة أو الاهتمام أو إشعار الآخرين بالذنب، أو محاولة الهروب من المسؤولية، كذلك على رأي ايسنارد "Hesnard" كغيره من أشكال السلوك هو ناتج مأزق علانقي بحيث يصيب التدمير ذات الشخص في نفس الوقت الذي ينصب فيه على الآخر لإبادته فتشكل العدوانية طريقة معينة للدخول في علاقة مع الآخر.

وعليه كل فعل صدر عن الأحداث الجانحين أو سلوك أو اماءات أو مواضيع حوارهم تحمل طابع أسلوب خاص تدلي من خلالها مشاعر النقص والإهمال التي تعرضوا لها سواء الذكور أو الإناث في مرحلة طفولتهم ولحد الآن قد يؤدي بهم إلى أسلوب خاطئ في الحياة يسيطر عليهم الحاجة إلى الانتقام.

كما لاحظت الباحثة، سمة القلق والتوتر وتغيرات فيزيولوجية مصاحبة لانفعالات بين فترة وأخرى لدى الكثير من الأحداث الجانحين من كلا الجنسين، أدت بإحدى الجانحات حتى إلى كسر بعض النوافذ مكان نومهم، إن الانفعال أو التوتر لا يحدث مجرد تفكير ذهني إدراكي بل هو توتر شعوري خام، أي ناتج من الخبرات الذاتية كما فسرتها النظرية الفينومولوجية ليشمل فيما بعد أو يترجم الجسم والنفس معاً، فالنفس تتفاعل بكيانها العضوي، وفي الواقع أن الفرد إذا تعرض لموقف يثير انفعال معين عنده فإنه يستجيب ككل، وكلما زادت قوة الانفعال كلما زاد انغماس الفرد في هذا الانفعال إلى جانب التهيج الانفعالي والسلوك العنيف المصاحب للانفعال. وهي سمة رئيسية بعد سمة العدوانية. وتتجلى أعراض في ثلاث نماذج منها السلوكية ومنها نفسية عاطفية ومنها ذهنية فكرية، فأما السلوكية تتركز في اضطراب في الأكل والنوم بين الإفراط والتفريط وسرعة الغضب وإهمال المسؤوليات والحركات العصبية العفوية، مثل قضم الأظافر واختفاء الابتسامة وفقدان حس الفكاهة وهذا ما لاحظنا عند الكثير من الأحداث، أما الأعراض النفسية والتي تنعكس على مراسم و تقاطيع وجوههم الحزن والاكتئاب والتي تظهر عند الإناث أكثر منها عند الذكور، أما الأعراض الذهنية فتتمثل في عدم القدرة على التفكير أو التركيز وضعف الاستعداد والنسيان. فالعالم الخارجي هو الذي يحدد شخصيته ومعالمها الأساسية وان الطبيعة الإنسانية ثرية وغنية حيث تحركها الخبرة الخاصة بالفرد وان السلوك الاجتماعي يجب أن يدرس بالتركيز علي القيم والأفكار

والرمز وأساليب التفكير التي يتبناها كل فرد من خلال خبراته الخاصة، وتشكل الحاجات وعملية إشباعها الجوهر للنظرية الإنسانية وأن نوع البيئة التي يتعرض لها الفرد تؤثر تأثيراً كبيراً على عملية نمو شخصيته وتطورها لأن موضوع وأهداف إشباع الحاجات يكون في البيئة، فالبيئة التي تشعر الفرد بالأمن وتسمح له بإشباع حاجاته الأساسية، فأنها تكون مصدر إسهام للفرد وتدفعه للنمو باتجاه تحقيق الذات للوصول إلى أقصى طاقة ممكنة في التحرر والارتياح وتبادل الحب مع الآخرين وتكوين صداقات فعالة ولكن في حدود الثقافة الفرعية للجانحين. كما أن الدكتور فاروق السيد عثمان بين أن الأحداث المصابين بالتوتر والقلق يرجع إلى حالة من الخوف الغامض الشديد الذي يمتلك الإنسان، يسبب له الكثير من الكدر والضيق والألم، فالقلق يفقد الثقة بالنفس ويفقده القدرة على التركيز (فاروق السيد، 2001، ص 18). أصبح التوتر والعنف جزءاً من طبيعة حياة معظم أفراد المجتمع، نظراً لتسارع نمط حياة تغلب عليه الماديات ويفتقر إلى ما يحقق للإنسان توازن احتياجات جسده وعقله. أطلقت عليه منظمة الصحة العالمية اسم "طاعون العصر" أو "وباء العصر" أنه داء مستفحل قاتل صامت، مرض خفي أصبح لا يفارق كثيراً من الناس، بل اعتادوا عليه ولم يدركوا عظيم خطره عليهم، فسلبهم صحتهم وسعادتهم، وأصبح القاتل الأول للإنسان حول العالم.

التوتر هو ردة فعل الإنسان واستجابته البدنية أو العاطفية تجاه حدث ما، فكل إنسان يحتاج إلى مستوى معين من التوتر والضغوط لأداء مهامه على الوجه الأمثل، ولكن المشكلة تكمن في حدة هذا التوتر واستجابة الشخص له، فهناك رد فعل إيجابي محفز يشحن الحواس ويساعد على التركيز ويدفع إلى العمل والانجاز، وعلى نقيضه فهناك استجابة سلبية ورد فعل سلبي ممرض يجعلان الإنسان أقل كفاءة وقدرة على السيطرة ويؤثر سلباً على السلوك والصحة.

كما جلب انتباهنا أثناء تجولنا في ورشات الخياطة أو الحلاقة أو الإعلام الآلي وكذلك في قاعات التدريس، انخفاض الذكاء لدى المبحوثين وقد يكون ذلك راجع إلى نقص في الاهتمام من طرف الأسرة والمستوى الثقافي والتعليمي عند الآباء، فإن النمو العقلي يتأثر بالبيئة الثقافية التي يعيش فيها الحدث وبما تقدمه له من تحفيز وإمكانيات وخبرات ومهارات ما يساعده على تكوين إدراكه وفي توجيه تخيلاته وأفكاره، ولقد أرجعت "Aubry" سبب انخفاض الذكاء إلى الحرمان العاطفي بحيث يؤثر هذا الأخير على النمو عامة، فإن الذكاء يتأثر بالحرمان العاطفي خصوصاً على المفاهيم والتجريد ووضع العلاقات بين الأشياء وفهم ترابطها (بدره معتصم، 2003، ص 117) كما يمكن أن يكون انخفاض الذكاء بسبب العنف اللفظي الذي تلقاه ونشأ عليه. كما تؤكد دراسة "Teicher" عالم الأعصاب على 63 شاباً ضحايا العنف اللفظي، حيث وجد الباحث الانحرافات في الألياف العصبية التي تربط نصفي الأيمن والأيسر من الدماغ مما ينتج التواصل بين نصفي المخ، تم العثور على الخلايا العصبية في الرأس لديها كميات صغيرة من تغليف المايلين (Myelin) التي تساعد تعزيز التواصل بخلايا الدماغ، وهذه التشوهات قد تعيق قدرة الفرد على معالجة الأحداث التي تحدث أمامه والاستجابة لها. ضحايا العنف لديهم مشكلات مع الذاكرة و التركيز والاهتمام بشكل متكرر، وهذه تساهم في إيجاد الصعوبات المعرفية لدى الفرد.

كما تشير نتائج دراسة "Vaillancourt" إلى أن العنف قد يضعف نمو الدماغ:

- في عام 2008 اكتشف "Vaillancourt" مستويات عالية من هرمون الكورتيزول "Cortisol"، هرمون الإجهاد في المراهقين الذكور تعرضوا إلى العنف، ومستويات منخفضة من هذا الهرمون في المراهقات، فعندما يعاني المراهق من استجابات الصراع أو الهروب فإن السكر يعوق نقل الدم إلى العضلات ويؤدي إلى الإجهاد المزمن وعندما يكون هناك كمية زائدة من الكورتيزول في الدماغ فإن القدرة على خلق ذكريات جديدة تصبح ضعيفة، ولم يتم تحديد لماذا الفتيات مستوى هذا الهرمون منخفض لديهن سوى أن الفتيان يجهد أنفسهم أكثر من الفتيات.

- كما اكتشف "Vaillancourt" في نطاق الألياف العصبية عيوباً مثل عدم الاتصال بين نصفي الأيمن والأيسر للدماغ، وقد يؤدي التخويف أو التعنيف لدى البعض الأفراد إلى العجز المعرفي وقلة التركيز وضعف الإدراك.

إن الآباء قد يعرفون أن العنف يسبب أضراراً عاطفية للأبناء لكنهم يجهلون أثر ذلك العنف على بنية الدماغ، وتشير الأدلة إلى أن الضرر قد يصيب بعمق جلد وقشرة الدماغ، وإن العنف البدني يعيق نمو الدماغ وأن الأمر يحتاج إلى اهتمام بجدية أكثر من قبل الأولياء.

- الخاتمة

من خلال هذا المقال والذي اعتمدنا فيه على تقنية الملاحظة استنتجنا أن الخطورة الإجرامية لدى الأحداث هي حالة نفسية واجتماعية وثقافية التي تنبئ باحتمال ارتكاب الحدث للجريمة والجروح في المستقبل، وتجلي ذلك في خصائص الأحداث المتواجدين بالمركزي إعادة التربية (ذكور، إناث) والتي استنتجناها من خلال ملاحظتنا الدقيقة وتتبع خطواتهم:

- مفهوم الذات المتدني لديهم حيث تشيع لديهم الروح الانهزامية، شعور الأحداث بالنبذ الاجتماعي وإحساسهم بالاعتراب والحيرة والكراهية وكما يوجد من الأحداث من تغلب عليهم الانطوائية والتمركز حول الذات، وهذا كله ناتج عن نظرة المجتمع لهم التي تتسم بالازدراء والاحتقار وهذا ما أشارت إليه نظرية الوصم الاجتماعي، حيث يضيف عارف " إن الفرد يتعرض للوصم الرسمي يعيش حالة من العزلة والانطوائية والرفض الاجتماعي وعدم الاستقرار يدفعه ذلك إلى تبني ثقافة فرعية تمنحه التبرير للانخراط في العمل الإجرامي هروباً من حالة العزلة التي فرضت عليه بسبب هذه الوصمة".

- الإحساس بالاعتراب ملاحظة سلوكيات العنيفة لأغلب المبحوثين، وتمثلت في اللفظية والجسدية والمادية والتي أمكنتنا من معرفة البيئة الاجتماعية والثقافية لأسرهم وهذا يدل على أن أغلب الأحداث تعرضوا للقسوة والإهمال والتسيب وليس لديهم نموذج يحتذوا به وهكذا يفقد الأحداث المرجعية ذات قيمة والجدارة.

- الحرمان العاطفي من خلال تحليل الرسومات والوشم وما يحمله من دلالات تعبيرية واحائية على حالتهم النفسية والاجتماعية وأحياناً البيولوجية.

- تدني الذكاء العاطفي الناتج عن الإحساس بالاعتراب ومن مؤشرات تدني الذكاء العاطفي والوجداني لديهم غياب الهدف والموجه الأساسي للحياة بحيث تصير الحياة بلا معنى أو هدف واضح. ومن خلال هذه الخصائص يمكن لنا تحديد مؤشرات توافر الخطورة الإجرامية لديهم:

- تعرض بعض الأحداث للإهمال العائلي أو القائمون على رعايتهم وذلك عدم تلقين زيارة طيلة مدة تواجدهم بالمركزي؛

- تمتهن بعضهن التسول أو الدعارة مع أمهاتهن واستنتجنا ذلك من خلال التحدث لبعضهن عن جمع المال وإنفاقه في الملذات؛

- تعاطي المخدرات وترويجه وبيعه من طرف القائمون على رعايتهم أو أحياناً من قبل أوليائهم .

- البعض وخاصة الذكور منهم قاموا بجرائم مثل الاعتداء وضرب والانتفاء إلى جماعة أشرار تمارس كل أنواع الجروح والبعض منهم تم ادعاهم عدة مرات بمراكز إعادة التربية.

- بعض الفتيات تفكر جدياً في ممارسة الرذيلة وفتح وكر للدعارة. كل هذي المعطيات والمؤشرات تساعدنا على فهم الحالة الباثولوجية بجانبها الموضوعي والذاتي وذلك لأنه بمثابة أداة تحليلية لحالة المجتمع و الشخصية المعتلة.

وعليه نستنتج إن فكرة الخطورة الإجرامية على أساس أنها استعداد لدى شخص يتصف بصفات نفسية معينة ووجد في ظروف معينة تدفعه لأن يرتكب جريمة تالية في المستقبل ومعنى

هذا أن الخطورة الإجرامية ما هي إلا وصف لشخصية الفرد، وهذا الوصف يعطي مؤشرات أو دلائل تنذر باحتمال ارتكابه لجريمة مستقبلا. وتبقى مجرد احتمال -كما جاء في الموسوعة الشرطية القانونية- ارتكاب جريمة كمييار للكشف عن الخطورة الكامنة لدى الحدث الجانح، والاحتمال يختلف عن الحتمية، ذلك أن الاحتمال هو افتراض وجود عوامل تدفع إلى الجريمة سواء كانت داخلية أم خارجية ، أما الحتمية فتعني الجزم بأن الجريمة سوف تقع كأثر حتمي للعوامل الإجرامية المؤدية إليها.

إن إثبات الخطورة يقتضي دراسة وافية لتاريخ الجاني ولمسيرة حياته قبل ارتكابه لجريمته، لأن ذلك يعطي مؤشرا واضحا عن مدى خطورته كما أن دراسة سلوك الجاني بعد ارتكاب الجريمة سيوضح معها ما إذا كانت الخطورة ما زالت قائمة أم أنها في طريق الزوال. مما يتيح للقاضي فرصة اختيار الجزء الأكثر ملائمة لحالة الجاني، وقد يؤخذ على هذا الرأي صعوبة تطبيقه لأن دراسة شخص المجرم قبل ارتكاب الجريمة، ودراسة حالته وسلوكه بعد ارتكابه يحتاج إلى جهاز متخصص، وأسلوب عمل منهجي من أجل الحصول على نتائج صحيحة لحالة الجاني النفسية، إلا انه وبغية تحقيق الجزاء الجنائي لأغراضه في إعادة تأهيل وإصلاح المجرم، فإن كل ذلك يستحق بذل مثل هذه الجهود التي سيكون لها أثرها الايجابي على المصلحة العامة المتمثلة في حماية المجتمع مع ظاهرة الجريمة (نمور، 1997، ص6).

إلا انه تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن الخطورة الإجرامية هي حالة تتوافر لدى بعض الأحداث وتظهر مدى استعدادهم الإجرامي، بمعنى هذا أن الخطورة الإجرامية ما هي إلا وصف لشخصية الحدث، وهذا الوصف يعطي مؤشرات أو دلائل تنذر باحتمال ارتكابه لجريمة مستقبلا . ولا شك أن معرفة مدى الخطورة الإجرامية لدى الأحداث الجانحين له عظيم الأثر في اختيار الأساليب الإصلاح و التأهيل و التي تتناسب مع هذه الخطورة و الحيلولة دون قيامهم بالإضرار بمجتمعهم و أنفسهم مستقبلا.

من خلال هذه النتائج نقترح التوصيات الآتية:

- علاج الانحرافات السلوكية للأحداث الغير المتكيفة وذلك بتوظيف أهم الأساليب العلاجية النفسية حتى تسهل عملية إعادة الاندماج الاجتماعي والوصول إلى بناء الأهلية الاجتماعية على المستوى الشخصي والأسري والمهني مستقبلا.
- مبدأ تخطيط الرعاية وإجراءاتها انطلاقا من الخصائص النمائية لكل حدث حسب خصائصه بهدف التوصل إلى بناء وغرس ثقته بنفسه واحترامه لذاته والاعتزاز بكرامته الشخصية وبالتالي تنمية حسه بالمسؤولية عن ذاته وأهله وجماعته.
- توجيه الجهود في البرامج إلى اكتشاف الطاقات والإمكانيات والدوافع الإيجابية لدى الأحداث الجانحين المودعين بمراكز إعادة التربية والبناء عليها والعمل على تمتيتها إلى حدودها الفضلى.

- قائمة المراجع

- سرور أحمد فتحي . (1964). نظرية الخطورة الإجرامية، مجلة القانون والاقتصاد، 34(2)، القاهرة، كلية الحقوق، ص ص 525- 545.
- Pierre Bouwat et Jean Pinatel.(1975). *Traité du Droit Pénal et de criminologie* Tom,3 Ed Dalloz.
- رمسيس بهنام.(1996). *الكفاح ضد الإجرام، الإسكندرية: منشأ المعارف.*
- MARCEL COLIN, *Etudes de criminologie clinique ; collection du médecine légale, éd Masson et Cie, Lyon, France.*
- مأمون محمد سلامة.(د ت). *حدود سلطة القاضي الجنائي في تطبيق العقوبة، القاهرة: دار الفكر العربي.*
- الفهوجي علي.(1998). *فتوح عبد الله الشاذلي، علم الإجرام والعقاب، مصر: دار المعارف.*
- المجالي نظام توفيق.(2012). *شرح قانون العقوبات القسم العام، ط4، عمان: دار الثقافة.*
- محمد صبحي نجم.(2002). *أصول علم الإجرام والعقاب، ط1، عمان: دار الثقافة.*
- فاطمة الزهراء بن يوسف.(2018). *التحديد التشريعي لمعالم الخطورة الإجرامية، مجلة العلوم القانونية والسياسية، 9(2)، مركز الجامعي النعامة، الجزائر، ص ص 671-687.*
- عادل عازر.(1986). *طبيعة حالة الخطورة وأثارها الجزائية، المجلة الجنائية القومية 11(1)، مصر، ص ص 198- 216.*
- محمد عبد الرسول عبد الهادي الشمري.(2016). *الخطورة في الجريمة دراسة تحليلية، مجلة العلوم الإنسانية، 23(1)، ص ص 138-161.*
- يسر أنور علي.(1979). *النظرية العامة للتدابير والخطورة الإجرامية، 21(1)، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، جامعة عين شمس، القاهرة، ص ص 1- 55.*
- فرويد سيجموند.(1967). *حياتي والتحليل النفسي، ط2، تر مصطفى زيور وعبد المنعم الميلجي، القاهرة: دار المعارف.*
- العظماوي إبراهيم كاظم .(1988). *معالم من سيكولوجية الطفولة والفتوة والشباب، ط1، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.*
- النوري عدنان.(1984). *أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي، ط3، الكويت: دار السلاسل.*
- أغروس أوبرت ، جورج ستانسيو .(1989). *العلم في منظوره الجديد، تر كمال خلايلي، الكويت: سلسلة عالم المعرفة.*
- Ryckman Richard. (1978). *Theories of Personality*, New York, Dronnostrude Company.
- Gene M. Smith. (1967). *Reading Attitudes, Theory and Measurement*, Jone Wiley, New York.
- معتوق جمال.(2009). *منهجية العلوم الاجتماعية والبحث الاجتماعي، ط1، الجزائر: بن مريب.*
- جوهرى، محمد وآخرون.(1993). *دراسة المشكلات الاجتماعية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.*
- زهري حسون تماضر.(1994). *جرائم الأحداث الذكور في الوطن العربي، الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب.*

- البهلول العود هادية. (04-04-2009). جرائم النساء، 15-09-2022 ، www.startimes.com/?t=15927050
- شتا السيد علي. (1996). علم الاجتماع الجنائي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
- خليل سيد احمد عبد الحكيم. (2012). التجليات الرمزية للوشم في المعتقد الشعبي، المؤتمر الرابع للفن والتراث الشعبي الفلسطيني، 6-10 أكتوبر، فلسطين.
- فاروق السيد عثمان. (2001). القلق وإدارة الضغوط النفسية، عمان: دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
- معتصم ميموني. (2003). الاضطرابات النفسية والعقلية عند الطفل والمراهق، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- نمور محمد سعيد نمور. (1997). دراسة في الخطورة الإجرامية، 12(3)، مؤتة للبحوث والدراسات، الأردن، ص ص43-91.